ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Social Values in poetry of AL-Namir Ibn Tawlab

Asst.prof.Dr. Maytham Ali Abbad

College of Education for Human Sciences, Tikrit University -Department of Arabic
E-Mail:mythiam.ab@gmail.com
Mobile: 009647717096766
Salahuddin

***Keywords*:**
So
Va
Po
N
T

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 3 June. 2020
Accepted 12 July 2020
Available online 23 July 2020
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

A B S T R A C T

Old Arabic poetry still rich in images and meanings—a matter that enables us to borrow from its culture and thus to establish our philosophy towards society. This study aims at elaborating on moral values represented in Namir Ibn Tawlab's poetry. The moral values that the examined poet tackles are generosity, social relations, ethical values and the like. The study follows the descriptive analytical approach.

© 2020 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.27.5.2020.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولب

د. ميثم علي عباد /جامعة تكريت/كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة

لايزال الشعر العربي القديم يشكّل معينا لا ينضب من المعاني والصور التي تميط اللثام عنها القراءات المتعددة التي من شأنها استنطاق النصوص مرة اخرى على الوجه الذي يكس اهتمامنا بتراثنا الشعري الذي نستمد منه فلسفتنا تجاه الحياة والمجتمع واشياءه .وانطلاقا من الطرح آنفا اتجهت هذه الدراسة نحو الكشف عن القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولب، وسيحاول هذا البحث إماطة اللثام عن تلك القيم من خلال رصدها في النصوص الشعرية، والتي تمثلت بقيم (الكرم، ، قيمتا حسن الجوار/ حسن الخُلُق، الفروسية الصلات الاسرية) منتهجا المنهج الوصفي التحليل في الكشف عن تلك القيم وابعادها الاجتماعية، وكل ذلك جاء مسبوقا بلمحة سير ذاتية للشاعر، وشيء من الحديث عن حضور تلك القيم في المجتمع العربي القديم، في محاولة لتأطير جوانب البحث .

المقدمة

لايزال الشعر العربي القديم يشكّل معينا لا ينضب من المعاني والصور التي تميط اللثام عنها القراءات المتعددة التي من شأنها استنطاق النصوص مرة اخرى على الوجه الذي يكس اهتمامنا بتراثنا الشعري الذي نستمد منه فلسفتنا تجاه الحياة والمجتمع واشياءه .وانطلاقا من الطرح آنفا اتجهت هذه الدراسة نحو الكشف عن القيم الاجتماعية في شعر النمر بن تولب، وسيحاول هذا البحث إماطة اللثام عن تلك القيم من خلال رصدها في النصوص الشعرية، والتي تمثلت بقيم (الكرم، ، قيمتا حسن الجوار/ حسن الخُلُق، الفروسية الصلات الاسرية) متبعين المنهج الوصفي التحليل في الكشف عن تلك القيم وابعادها الاجتماعية، وكل ذلك جاء مسبوقا بلمحة سير ذاتية للشاعر، وشيء من الحديث عن حضور تلك القيم في المجتمع العربي القديم، في محاولة لتأطير جوانب البحث .

- **سيرة الذاتية للشاعر**

هو شاعر مقل مخضرم عاش في الجاهلية وادرك الاسلام وحسن اسلامه[1] ومن الجدير بالذكر أن المصادر القديمة لم تتحدث عن حياته في الجاهلية ، وكانت النتيجة بجهل حياته بتفاصيلها كافة ، في أن معرفة جوانب حياته قد اهتدى لها الباحثين من خلال الاشارات التي تضمنها شعره [2], وللشاعر قيمة فنية عليا عند النقاد فكان ابو عمرو بن العلاء يشبه شعره بشعر حاتم الطائي [3], وقد ذهب في هذا الاتجاه لما وجده في شعريهما من التباين الشعري في القيم الاجتماعية المتشابهة، تلك القيم التي اوجدها تماثلهما في الزمن والمعطيات الثقافية والمجتمعية وفكرة الحياة والموت وغيرها، فضلا عن ذلك فإننا نجد ابا عمر بن العلاء يسميه بالكيّس لحسن شعره وكثرة امثاله[4], وقد عده بن سلام الجمحي في الطبقة الثامنة من فحول الجاهليين [5]

حضور القيم الاجتماعية في المجتمع القديم

حظي العرب في العصور القديمة على الكثير من المثل والقيم الاجتماعية التي تعارفوا عليها, فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: ((ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحبة والمسلمون أولى بها ، لو نزل بهم ضيف لاجتهدوا في برّه ، لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده لا يطلقها، ويمسكها مخافة أن تضيع ،إذا لحق بجارهم دَينٌ أو اصابه شدّة أو جَهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه وأخرجوه من شدته))[6], وقد كان الجار وحمايته من قيم المجتمع العليا ، ولذلك أولى الجاهليون هذه القيمة اهتمامهم وتمادوا في ذلك حتى زعموا حماية الجار من الموت ، وذلك انه اذا مات دفع حامه ومجيره ديّته الى اهله[7]

فضلا عن ذلك فد اشار القران الكريم الى أهمية الجار ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾

ومن هنا نلحظ أهمية الجار وكيف صنفه القران الكريم ، فإن لم يحسن لهما للآخر لا خير فيهم [8] ومن القيم الاجتماعية التي اكدها العرب قديما صلة الرحم وادامة التواصل ، ونصرة العشيرة اذا ألمّ بها خطب [9], ومن تلك القيم التي أجلّها العربي وأعلى من شأنها في حياته ، قيمة الكرم ،اذ تميز العرب بإكرام الضيف وتنافسوا في ذلك، ((حيث كان العرب يعيشون حياة شحيحة بالزاد وحياتهم ترحال وتجوال ، وكل واحد منهم مقرر أن ينفذ زاده، فهو يقري ضيفه اليوم لأنه سيضيفه غدا بحسب طبيعة حياتهم، والعرف أن الضيافة لديهم ثلاثة أيام وثلاث ليال، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة، إلا اذا جدد المضيف وزاد عليها))[10]

ومن القيم التي آمن بها العربي هي قيم الشجاعة والبطولة والفروسية ، لما لها من دور في استقراره النفسي وأمنه الاجتماعي، وذلك بسبب الظروف التي فرضتها عليه طبيعة الصحراء، لذلك كانوا يتمادحون بمن يموت طعنا، ويهجون من يموت حتف أنفه، لأن الشجاعة لديهم قيمة أخلاقية واجتماعية عالية جدا [11]((فالشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكن له فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس، وقال العلماء أصل الخير في ثبات القلب))[12]

حتى انهم اوصوا بها ابناءهم وكانوا يحثونهم على الفروسية والاهتمام بمثلها العليا [13]

ومن الجدير بالذكر ان الحديث عن القيم الاجتماعية يطول ولكننا عمدنا لذكر الابرز منها على سبيل المثال والبيان .

قيمة الكرم

إن أهم ما امتاز به العرب واشتهروا به اكرامهم للضيف وافتخروا بهذه الخصلة حتى اصبحت هوية حملوها وتميزوا بها عن الامم الأخرى ومن مظاهر كرمهم هداية الضيوف ليلا بالنار اذ كانوا يوقدونها على المرتفعات لتكون دالة واضحة وبينة لضيوفهم , وان الكرم من وجهة نظرهم يصنع لصاحبه مكانة اجتماعية راقية تجعل الآخرين ينظرون اليه بعين الاعتبار والاحترام حتى قال الخليل بن احمد الفراهيدي : الكرم شرف الرجل,الكرم عند العرب تقديم القري للضيف بمعنى انه عطاء يقصد به الكرم الضيف وقضاء حاجته ولا يرجى من وراء فعلها جزاء او شكورا , والكرم من الافعال المحمودة تصفه العرب بأنه اشرف ملابس الدنيا به يرفع الذم ويستر العيب ويحمى العرض [14] .

إن هذا الموقف اصبح واضحا في دعوة عقلاء القوم وعليته الى السخاء لأن المال في نظرهم ما هو الا وسيلة لمساعدة الآخرين على مواجهة مصاعب الحياة وكسب ثنائهم **وثقته**[15] لاسيما أنهم نظروا الى الحياة على انها فانية فلا فائدة من البخل لذا تسابقوا لإكرام الضيف واجارته وعدوا ذلك عملا من مآثرهم ومفاخرهم وأكد ذلك حتي بقوله:((ان العربي يظل كريما جوادا أمينا على الجوار مضيافا ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقري وحسبوها افضل سجايا الانسان لإيثارها سوى الحماسة والمروءة))[16], كما عُدت الظروف الطبيعية التي اتسمت بها جزيرة العرب أهم دافع لظهور الكرم اذ مثل عامل الرحيل

والتنقل في الصحراء وعدم معرفة مسالكها واحتمالات الضياع فيها سببا لذلك , فالعربي كان يَكرم ليُكرم ويُطعم ليُطعم ويَعطي ليُعطى لأن حياة الصحراء غير مأمونة وقد يتعرض لنفس الموقف الذي تعرض له صاحب القري , فأصبح الكرم هنا واجب انساني وتقليد عربي حرص عليه العرب في جزيرته,[17] ومن الملاحظ أن شاعرنا النمر بن تولب كان كريما جوادا ولا تأخذه لومة عاذلة في كرمه مهما كان مقداره وفيها نجده قائلا [18]:

لا تَغضَبَنَّ عَلى اِمرِئٍ في مالــهِ وَعلى كَرائِمُ صُلبِ مالِكَ فَاِغضَبِ
وَإذا تُصِبكَ خَصاصَةٌ فارجُ الغِنى وَإلى الّذي يُعطي الرَغائِبَ فَارغَبِ

فالشاعر له باع طويل في الكرم والحث عليه لما يمثله من قيمة اجتماعية ، حتى نجده يمتلك فلسفة خاصة بهذا الجانب ، وهو يتحدث بِبُعدٍ اجتماعي عالٍ ، متقمصا دور العارف الفاهم

فهو (لا) الناهية في سياق الفلسفة التي يروم الكشف عنها في هذا الجانب الاجتماعي ناهيا بذلك المتلقي الى عدم الغضب على من لا يكرم ان لم يكن ماله من أطايب ما يملك (كرائم صلب) وانما يكون الغضب على من لا يكرم من إبله الخاصة المالك لها التي تتناسل من بعضها، وان اصابتك ضائقة فتمنى الغنى حتى لاتقف بباب احد ، وأقبل الى من يعطي ويكرم بالكثير (الرغائب) فالشاعر عبر هذا التوجه الفلسفي في قيم الكرم انما يضعنا أمام تصور كامل عن العزّة والانفة التي كان العرب يتحلون بها قبالة الكرم والعطاء ، ونلحظه يقدم ذلك بصيغة الشرط وجوابه (وإذا تصبك خصاصةٌ / إلى يعطي / الرغائب / فأرغبِ) فجاء الفاء لجواب الشرط خدمة للمعنى الذي نشده الشاعر .

ويستمر الشاعر في الحديث عن الكرم والضيافة بوصف دقيق يكشف من خلاله طبائعه فيه ، فنجده يتحدث عن نفيه ورفضه بأن يبخل على أضيافه لحم ناقته، وأن بابه لا يؤصد أمام ضيوفه قائلا [19]:

فلست بحارمٍ الأضياف مِنها وجاعِلِ دُونهمْ بابي رِتاجا
وتأمرُني رَبيعةَ كلَّ يومٍ لأشريها وأقتنــي الدجاجـــا
وما تُغنِي الدَّجاج الضَّيفَ عني ولَيس بنافعي إلا نضاجا

ونجده ينحو منحى الشعراء الاجواد في رفضه حديث العاذلة التي تريد عذله عن الكرم وهذا ديدن الفرسان الاجواد وظهوره بصورة الواقعية للكريم الجواد ، ولاسيما أن ((حوار الشاعر مع عاذلته ينبجس عن واقعية محضة))[20], فهو يرفض أن يبيع ناقته ليقتني الدجاج لعدم قناعته بأن الدجاج طعام للضيوف نافيا ذلك بدلالة (ما) النافية حاصرا قناعته بلحم الابل الناضج بطهيه نضوجا تاما موظفا لذلك اداة الحصر (إلا) (وليس بنافعي إلا نضاجا) ومن هنا يمكن أن نلحظ عظم الكرم كقيمة

اجتماعية يقف الشاعر عند جزئياتها لما تشكله من لبنة اساسية في حضوره في مجتمع يولي الاهمية القصوى لهذا الشأن.

ولكرمه لم تمنعه سمنة ابله من الدفاع عن نفسها فقد قصد (سلاحها) كناية لسمنتها لأن الابل تجعل السمنة سلاحا لتجنب نحرها، لكنه لكرمه كان ينحرها ويقدمها للضيوف، قائلا [21]:

أزمانَ لم تأخذ إليَّ سلاحها إبلي بجلتها ولا أبكارها

اعتزها ألبانها ولحومها فأهينَ ذاكَ لضيفها ولجارِها

ولرفقةٍ في ليلةٍ مشمولةٍ نزلتْ بها فعدتْ على أسارِها

وأضاعَ أقوامٌ فسبتْ أمهمْ وأبوهمُ حتى يمتَّ بعارِها

فهو يقدم ألبانها ولحومها للضيوف والجار ، ويتسع كرمه ليشمل الرفقة الذي يجيؤون في الليالي الباردة (ليلة مشمولة) وهو يُنكر على من لا يفعل فعله، فسوف تُسبُّ أمهم وابوهم وسيلحقهم العار، فقيمة الكرم الاجتماعية وأهميتها جعلت الشاعر يَسمُ من يتخلف عن هذا الفعل بالعار، فالأحجام عن الكرم والوقوع في البخل، يفضي إلى اللوم والعار، وتنطلق رؤية الشاعر لهذه القضية ضمن الإطار الجماعي، وهو – أي الشاعر– دائم التأكيد على تلك المناقب [22] .

فالشاعر يصف نفسه بالكرم ويعاتب زوجته على لومها له , وكان قوم في الجاهلية , فعقر لهم اربع قلائص , واشترى لهم زق حمر فلامته على ذلك ,فقال [23]

قالَت لِتَعذْلَني مِنَ اللَيلِ اِسمَعِ سَفَهاً تَبيتُكَ المَلامَةَ فَاِهجَعي

لا تَعجَلي لِغَدٍ وَأَمرِ غَدٍ لَهُ أَتَعجلينَ الشَرَّ ما لَم تَمنَعي

قامَت تُبَكّي أَن سَبَأتُ لَفِتيَةٍ زقاً وَخابِيَةً بِعَودٍ مُقطَعِ

لا تَجزَعي أَن مُنفساً أَهلَكتُهُ وَإِذا هَلَكَت فَعِندَ ذَلِكَ فَاِجزَعي

وَقَريتُ في مَقري قَلائِصَ أَربَعا وَقَريتُ بَعدَ قُرى قَلائِصُ أَربَعِ

أَتبكِيا مِن كُلِّ شَيءٍ هَيِّنٍ سَفَهَ بكاءُ العَينِ ما لَم تَدمَعِ

فالشاعر يوظف الحوار للكشف عما يريد البوح به من رأي للمجتمع والمتلقي ، وبيان مدى اهتمامه بالكرم كقيمة اجتماعية عُليا، لذلك لانجده يرحب برأيها مسفّها له (سفها تبيتك الملامة فأهجعي) موظفا اسلوب الزجر (فأهجعي) ناهيا إياها عن العجلة بالشر وأن غداً له أمره ، وهو يرفض كل ما جاءت به مذكرا اياها بعدد القلاص التي نحرها، فتلك الحوارية تفتح_ برأينا _ الطريق الى استكناه الدلالة العميقة

المنطلقة من عاطفة الشاعر وما يجول في خاطره من رؤى ومقصدية، إذ وجد في هذا الحوار منفذا له للحديث عن الكرم بوصفه قيمة اجتماعية تستحق المعالجة .

ومن صور الكرم لديه التي صحبة حضور صوت العاذلة قصته حين خرج بعدما كبر في ابله فسأله سائل , فأعطاه فحل إبله فلما رجعت الإبل إذا فحلها ليس فيها , فهتفت به امرأته وعذلته , وقالت: فهلّا غير فحل إبلك ؟ فقال لها[24]:

دعيني وأمري سأكفيكه وكوني قعيدة بيت ضباعا

فإنك لن ترشدي غاويا ولن تدركي لك حظاً مضاعا

فهذا التهوين والاستخفاف بتحذير العاذلة إياه وهي تكره له مضيه في الكرم، يحيل قارئ الحوار إلى التوتر الحاد بين صدق الواقع وبين حمل المتلقي إلى اصطناع الشاعر هذه المواجهة الأبدية مع الدهر المتمثلة في قوله (دعيني وامري) بيد أن الشاعر – وقد قادته العاطفة المهيمنة في النص أن يصور نهاية قراره الحتمية في الشطر الثاني من البيت – ظل مقراً بانها لن ترشد غاويا مثله، ولعل تكرار ورود مقاطع حوار العاذلة في شعره يفسر ارتباط ذلك بصيغة حياته وتوافره نحو تأكيد التزامه بالكرم ورفضه لواقعهم المرير كما يومئ إلى اتخاذهم هذا الحوار منفذاً للحديث عن الاقتدار الفردي للشاعر في اثبات هذه القيمة الاجتماعية.

ومن صور اهتمام الشاعر بالكرم قصة النمر بن تولب مع صديقه فقد كان للنمر صديق فأتاه النمر في ناس من قومه , يسألونه في دية احتملوها فلما رآهم وسألوه تبسم فقال[25]:

تَبَسَّمَ ضاحِكــاً لَمّـــا رَآني وَأَصحابي لَدَيَّ عَنِ التَمــام

فقال له الرجل: إن لي نفس تأمرني أن اعطيكم , ونفساً تأمرني أن لا أفعل, فقال النمر

أما خليلي فإني لست معجلـــه حتى يؤامر نفسيه كما زعمـــا
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

فيتجلى لنا من هذه الحادثة اصرار الشاعر على تبني الموقف والالتزام به بما يعكس حجم اهتمامه بالموقف الذي يسجل له ، اذ ان الكرم فضيلة خلقية مكتسبة وليست طبيعية تقرر قيمتها الظروف الحياتية في المجتمع , ان هذا الموقف اصبح واضحا في دعوة الشاعر لأصحابه وعليته الى السخاء لأن المال في نظره ما هو الا وسيلة لمساعدة الآخرين على مواجهة مصاعب الحياة وكسب ثنائهم وثقتهم ، فالشاعر حين يعمد الى هكذا فعل بأن يجعل الديّة كلها عليه إنما من ايمانه بفناء الانسان وبقاء فعاله ، الحياة على انها فانية فلا فائدة من البخل لذا تسابقوا لإكرام الضيف واجارته وعدوا ذلك عملا من مآثرهم

ومفاخرهم وأكد ذلك حتي بقول :((ان العربي يظل كريما جوادا أمينا على الجوار مضيافا ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقري وحسبوها افضل سجايا الانسان لا يثأرها سوى الحماسة والمروءة.)) [26]

ومن اللافت للنظر أن عذل الشاعر عن الكرم لم يكن يصدر من المرأة العاذلة فقط على النحو المتعارف عليه، بل تجاوز ذلك ليكون الاخ طرفا اخر في المعادلة ، مما يتيح لنا تفسير ذلك الى حجم السخاء الذي كان عليه الشاعر، قائلا [27]:

يلومُ أخي على إهلاكِ مالي وما إنْ غالهُ ظهري وبطني

ولا ضيعتهُ فالأمُ فيهِ فإنَّ ضياعَ مالكَ غيرُ معنِ

ولكنْ كلُّ مختبطٍ فقيرٍ يقولُ ألا استمعْ أنبئكَ شأني

ومسكينٌ وأعمَى قالَ يوماً أغثنِي للآلهِ ولا تدعني

وإعطائي ذوي الأرحامِ منهُ وتوسيعي لذي عجزٍ وضغنِ

أقي حسبي به ويعزَّ عرضي عليَّ إذا الحفيظةَ أدركتني

وأعلمُ أنْ ستدركني المَنَايا فإنْ لا أتبعْها تتبعنِي

ذرأتُ المانعين المالَ يوماً مصيرهمُ لإلقاءٍ فدفِنِ

ان روح الخير والسخاء التي تحلّى بها الشاعر كان سجيةً أصيلة فيه، فهو لا يأبه للوم وعذل أخيه له، ويعمد الى طريقة السرد القصصي في بيان موقفه منه، فهو لم يضيعه هدرا، بل وهبه للفقراء والمساكين وذوي العمى والعجز ، والقادم مع الضيف، وفلسفته في ذلك أن الكرم لديه يقي عرضه وسمعته من الكلام ، فهو يتستر بالسخاء ، ونصف فلسفته الاخر أنه يرى أن مانعي المال مصيرهم الموت والدفن ، فالكرم يخلد صاحبه ، اما المال لا يخلد ذكره لأنه فانٍ، فالعربي كان يَكرم ليُكرم ويُطعم ليُطعم ويَعطي ليُعطى لأن حياة الصحراء غير مأمونة وقد يتعرض لنفس الموقف الذي تعرض له صاحب القري , فأصبح الكرم هنا واجب انساني وتقليد عربي حرص عليه العرب في جزيرته[28], من جهة اخرى كان الانسان العربي بطبيعته ميالا الى مكارم الأخلاق والى ما يُعلي شأنه في أوساط العرب ومجالسهم , وقد جمعت العرب اخلاق السيادة في مجوعة من المكارم أهمها الكرم والجود , ولأن الصحراء بطبيعتها يسهل فيها الهلاك والجوع فأصبح العطاء واجبا في تلك الظروف والبخل رذيلة لا يغفرها المجتمع فسادت هناك المبالغة في الكرم وجزءا من الأخلاق والفضيلة [29]

وتتكرر صور العاذلة عند شاعرنا، ويستمر في رفض عذلها عن سخائه وكرمه، فنجده يرد على زوجته بعد أن عذلته عبر حوار دار بينهما (بكرت باللوم / إعلمي)، قائلا[30]:

بكرت باللوم تلحانا في بعير ضل أو حانا

علقت لوا تكررها إن لوا ذاك أعيانا

إعلمي أن كلُّ مؤتَمِر مُخطِئ في الرأي أَحيانا

وتبعاً لهذا نؤيد ما ذهب إليه أحد الباحثين قائلاً :((فالذي نذهب إليه، هو أن صورة المرأة – في مقاطع الحوار – تشكل القناع المطلوب لصوت خفي ينبثق من حقيقة النفس البشرية، والذي يمثل عمق المعاناة النفسية لطموح الشاعر، وبتعبير أوضح، أن حقيقة الصراع الذي يقوم داخل النفس الإنسانية، هو المنطلق الذي رشح المسلك العام لحياة الإنسان، لكن محاولة إخفائه هي التي تمخضت عن هذا السلوك الذي يعبر عن ذلك الصراع الخفي والمعاناة النفسية المتأرجحة بين الأقدام والإحجام))[31], ومما تقدم يتبين لنا جليا ما مثلته قيمة الكرم عند الشاعر، وكيف تمكن من استدامتها في خضم النتاج الشعري ، وحرصه على الالتزام بهذه القيمة المجتمعية ، لمالها من دور بارز في حياة الشاعر خاصة والمجتمع عامة .

- **قيمتا (حسن الجوار ، حسن الخلق)**

تضمن الشعر العربي القديم القيم الاجتماعية والاخلاقية، المتعارف عليها في المجتمع العربي قبل الاسلام وبعده، والتي كان قد أقرّها وهذب بعضها بما ينسجم مع تعاليمه حيث قرن بعضها بمسألة الاجر والثواب في الاخرة ، وقد تمثلت هذه القيم بكلمة وادة متعارف عليها وهي (المروءة) والتي يندرج بضمنها قيم متعددة مثل حسن الجوار ورعايته ونصرته ، والتكافل والايثار ، والوفاء بالوعد ، والاستقامة بالخلق عند التعامل مع الاخرين ، واشياء اخرى لامجال لذكرها، وقد اكد العرب قديما على أهمية الجوار وضرورة الالتزام بحقوق الجوار المادية والمعنوية[32]

لقد صور الشاعر العربي أخلاق مجتمعه وقيمهم وعاداتهم، فكان سجلًّا يعرض حياتهم في مختلف جوانبها، إن العرب يحضون على الأفعال الجميلة وينهون عن الأخلاق الذميمة يقول العلوي: ((وإنهم سنّوا سبيل المكارم لطلابها ودلوا بناة المحامد على أبوابها الاجتماعية والإنسانية سلبية كانت أم إيجابية))[33] وفي معرض الحديث عن تلك القيم نجد شاعرنا النمر بن تولب يُعلي من شأن الاهتمام بالجار واكرامه وحسن معاشرته على النحو الذي يكشف عمق وتأصل تلك القيم في نفسه، قائلا[34] :

لَعَمرُ أَبيكَ ما لَحمي بِرُبِّ وَلا لِبَني عَلَيَّ وَلا سَلائي

وَلا رَحلي بِمَخزونٍ عَلَيهِ إِذا جاري اِستعارَ وَلا رِدائي

وَلا أَسقى وَلا يُسقى شَريبي وَاَمنَعُهُ إِذا أَورَدتُ مائي

يُعِلُّ وَبَعضُ ما أَسقى نِهالٌ وَأَشرِبُهُ عَلى إِبِلي الظِماءِ

يفتتح الشاعر النص بالقسم الذي يشتغل من خلاله على ايمانه المطلق بما يقوله ويفعله تجاه جاره (لعمر ابيك) ويُتبع القسم بأداة النفي (ما) لتأكيد ما يريد الحديث عنه، فهو يريد اثبات مطلق صفة الكرم لديه تجاه جاره، فالشاة الربى التي تستخلص لطعام البيت لا يخفيها على جاره هي وما انتجته من لبن وسمن (ولا لبني علي ولا سلائي) والامر يتعدى ذلك ليصل اكرام الجار عنده الى تقديمه رحله (ناقته) لجاره ان طلبه منه اكراما له منه ومروءة، لتستمر عطايا الشاعر لجاره الذي لا يُسقي إبله قبله حتى يسقي جاره إبله، تاركا إبله في حالة الظمأ حتى ترتوي إبل جاره، فالشاعر يجعل لجاره حقوقا في ماله وكأنه فرد من افراد الاسرة، وهذا مظهر من مظاهر الاهتمام بتلك القيم الاجتماعية، ومظهر من مظاهر البطولة الاجتماعية طالما أن الكرم يعد شجاعة أيضاً،((ان العربي يظل كريما جوادا أمينا على الجوار مضيافا ولطالما تغنى الشعراء بمحاسن الضيافة والقري وحسبوها افضل سجايا الانسان لايثأرها سوى الحماسة والمروءة))[35]

وفضلا عن حقوق الجار المادية التي تمثلت بإكرامه وحمايته، فقد اكد على الحقوق المعنوية وذلك بغض الطرف عن محارمه، فَعَلَت هذه القيمة في نفسه فكان يمتدح بها ويغليها في داخله ، قائلا [36]:

لا يَعلَمُ اللامِعاتُ اللامِحاتُ ضُحىً ما تَحتَ كَشحي وَلا يَعلَمنَ أَسراري

وَلا أَخونُ اِبنَ عَمّي في حَليلَتِهِ وَلا البَعيدُ نَوىً عَنّى وَلا جاري

حَتّى يُقالَ إِذا وُرّيتُ في جَدثي لَقَد مَضى نَمِرٌ عارٍ مِنَ العارِ

ومن هنا تبين لنا كيف تعامل الشاعر مع الجار وكيف اعتنى بتلك القيمة الاجتماعية، وخلّدها شعراً .

ومن خلال هذا النص نستنتج قيمة اجتماعية أخرى قد حرص عليها المجتمع القديم عامة وشاعرنا خاصّة، وهي القيم الاخلاقية، فالشاعر يشير الى عدم خيانته ابن عمه في حليلته (زوجته) بل ولا يخون حتى البعيد ، وهذا من باب غض البصر والخلق الرفيع، وهو ملازم لتلك الخصال الخُلُقية حتى يوارى في قبره، ليقال عنه رحل نمر وهو خالٍ من العار والدنس وما يشين سمعته، فالشاعر حريص على تلك القيم وترسيخها في اذان المجتمع، لما لها من دور في استقراره النفسي وأمنه المجتمعي. فضلاً عن أنّ منظومة العلاقات الأخلاقية المتوطدة في المجتمع تكون رؤية جماعية وموضوعية بالنسبة للأشخاص، فهم عندما يولدون يجدونها جاهزة ؛لأنها تتشكل بمعزل عن إرادة الإنسان، وهي تعبر عن دوافع وتصورات حول ما ارتضاه المجتمع وذمه من مجموعة القيم، ولما كان الشعر مرآة الحياة الجاهلية فليس من المعقول أن يصور جانبًا ويترك الجوانب الأخرى [37].

والشاعر حريص على اشاعة سمة الخُلُق الرفيع والشيم الاصيلة، فهو يقول ورب هازئة تتمنى لو أن ابنها مثل يماثلني خُلُقا وشيمة، وزوجها مثلي فقال[38]:

ولما عَصيتُ العاذِلينَ وَلَمْ أبلْ مَلامَتهم ألقوا على غارِبِي حَبلي

وهازِئَةٍ مني تَودُّ لَو ابنها على شيمتي أو أنَّ قَيّمَها مِثلي

فالشاعر حين ينحو هذا المنحى التعبيري عن قيمة حسن الخُلق اجتماعيا إنما لِتَمَثُّل تلك القيم في نفسه، وتتمثل هذه القيم بمجموعة من الأعراف والمفاهيم التي أسست البعد الإنساني والوجودي لهذه الذات الجمعية التي يمكن أن تولد إذا ما سقطت على صفحة الذات الشاعرة أداءً واقعيًّا. فَحَرَصَ الشاعر على تنمية مجموعة القيم وصقلها ورفعها إلى مدارج الكمال، فأنتج لنا قيمًا كانت برأيهم قيم الإنسان الفاضل[39] لأنهم أدركوا كونها قاعدة متينة لبناء المجتمع والأمة ولكونها تبني إنسانًا فاضلاً يرفع من شأن المجتمع[40] وهم يعتصمون بهذه القيم لشعورهم بالفناء ولكونها الوحيدة التي تخلدهم [41]

ويستمر الشاعر بالدعوة للخُلُق القويم وبناء النفس الانسانية وفق المُثُل والقيم العليا، قائلاً [42]:

فأوصى الفتى بابتناء العلاء وألا يخون ولا يأثما

ويلبس للدهر أجلاله فلن يبني الناس ما هدما

وإن أنت لاقيت في نجدة فلا تتهيبك أن تقدما

فإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما

وإن تتخاطاك أسبابها فإن قصاراك أن تهرما

وأحبب حبيبك حبا رويدا لئلا يعولك أن تصرما

فتظلم بالود من وصلهُ رقيـــــــقٌ فتسفـــــه أو تندما

وأبغض بغيضك بغضا رويدا إذا أنت حاولت أن تحكما

فهو يوصي افراد المجتمع ببناء العلى والالتزام بالأمانة وعدم الخيانة، وأن ما يبنيه الانسان من بنيان اجتماعي مستند للخلق الرفيع لا يُهدم، فنجدة الملهوف عنده خلق رفيع، ومحبة الناس ومودتهم، وأن لا تغال بالبغض حتى في من بغضك، تلك الوصايا التي جاء بهى الشاعر هي بمثابة دستور للقيم الخلية المجتمعية والتي من شأنها تأسيس منظومة اجتماعية واعية بمسؤولياتها الاخلاقية تجاه المحيط من ابناء المجتمع، وكل ذلك جاء مبنياً على وفق ما يراه الشاعر من تعظيم لشأن الخُلُق وصولا نحو استكمال بناء منظومة اجتماعية رصينة تضمن ديمومة الحياة المستقرة امنينا ونفسيا، ومن هنا نفهم أهمية تلك القيمة

الاجتماعية على مستوى الفرد _ الشاعر _ والمجتمع، وما تشكله من دور فعّال في ترسيخ قيم التعايش الانساني، لذلك كان حريصا على ذكرها والدعوة إليها، والتأكيد على ديمومتها .

- **الصلات الاسرية**

ومن القيم الاجتماعية التي اهتم العرب قديما ، هي الصلات الاسرية المتمثلة بصلة الرحم ، وذلك لما تتركه في المجتمع من أثر ايجابي يتمثل بوحدة المجتمع وتماسكه في ظل ظروف بيئية قاسية تتطلب الوحدة ،وقد سادت هذه القيمة قبل الاسلام وحين جاء الاسلام أعلى من شأنها وأصبحت مرتبطة بوازع ديني ،وبذلك أشار القران الكريم بقوله تعالى ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيبا))[43]

وتعد الصلات الاسرية من اقوى الروابط التي تربط افراد العائلة ببعضها ولاسيما في المجتمعات التي تسودها العصبية وتجعل لها المقام الاول بالنسبة للأهداف التي تواجه الافراد في المواقف المختلفة [44]، ومن خلال تتبع ديوان الشاعر النمر بن تولب لَحِظتُ اهتمامه بهذه القيمة الاجتماعية عبر فن الرثاء، تلك القيمة التي خلدها شعره مثّلت متانة صلته بزوجته ، وصلته بإخوته الذين كان قد رثاهم وصوّر من خلال شعره قيمتهم الاجتماعية عنده بما يشي بعمق صلاتهم الاسرية فيما بينهم, واننا سنتجاوز موضوعية النص الرثائي لنشتغل على ماورائيات النص ومرجعيات تشكُّلِهِ للكشف عن تلك الصلات، ومن ذلك قوله يرثي أخاه الحارث بن تولب **قائلاً**[45]

فَواللهِ ما أَسقِي البَلادَ لِحُبِّهـــــا وَلَكِنّما أَسقيكَ حارِ بنَ تَولَبِ

تَضَمَّنَت أَدواءَ العَشيرَةِ بَينَه وَأَنتَ عَلى أَعوادِ نَعشٍ مَقلَبِ

كَأَنَّ اِمرِءاً في الناسِ كُنتُ اِبنَ أَمِّهِ عَلى فَلَجٍ مِن بَطنِ دَجلَةَ مُطنِبِ

لا زالَ صَوبٌ مِن رَبيع وَصَيّف يَجودُ عَلى حِسّي الغَميم فَيَترَب

فنجد الشاعر يرثي أخاه على عادة الشعراء حين يرثون من يحبونهم بالدعاء لهم بالسقيا، وهو يدعو لقبره بالسقيا ، دالا بذلك بأسلوب القسم الذي جزم من خلاله موقفه وما يجول بخاطره، وان رثاؤه هذا جاء بما ينسجم مع حجم حضور شخصية اخيه في المجتمع والدور الذي كان يلعبه، فقد كان يجد حلاّ لمشكلات العشيرة ويقودها لبر الامان، (ضمنت ادواء العشيرة) ويتجلى عمق الصلة الاسرية بينهما حين وصف الشاعر من كان أخاه كان على بحر خصب من السعةِ، فقيمة الصّلة الاسرية تستمد مكانتها وديمومتها من خلال قيمة ومكانة الانسان في المجتمع الذي يحترم ذو الرأي والمكانة، ولاسيما أن الرثاء في المنظور الاجتماعي هو

((نزعة اجتماعية شمولية تستحضر اعادة انتاج الشخصية وفق ما كانت عليه في تمثلات المجتمع))[46].

وللشاعر فلسفة خاصّة بالصلات الاسرية وتنجم عنه من تبعات اجتماعية، فالصلات الاسرية في نظره يجب أن تكون مع كريمي الاصل وذات المنبت الحسن ؛لأنّ الانسان يقع فيه نصيب من أخواله مشيرا أن ابن اخت القوم مصغى اناؤه إن لم يزاحم خاله بأب جلد، فالشاعر يلي الصلة الاسرية اهمية كبيرة لما لها من تأثير في صياغة الانسان طبعا ونسقا اجتماعيا، وهذا متاتٍّ من قبيل اهتمامه بهذه القيمة الاجتماعية، وهو يقول[47]:

إذا كنتَ في سَعدٍ وأمُّكَ منهم غريباً فلا يَغرُركَ خالك من سَعد

فإن ابن أخت القوم مُصغًى إناؤهُ إشذا لم يُزاحم خالَهُ بأبٍ جَلدٍ

إذا ما دعوا كيسان كانت كُهولُهم الى الغَدر ادنى من شبابهم الـــــمرد

ومن صور الصلات الاسرية حديث الشاعر عن تشوقه لزوجته (جمرة) قائلا[48] :

صَرَمَتكَ جَمرَةُ وَاِستَبَدَّ بِدارِها وَعَدَت عَوادي الحَرب دونَ مَزارِها

زَبَنَتَك أَكانُ العَدَوّ فَأَصبَحَت أَجَأ وَجُبَّة مَن قَرارِ دِيارِها

وَكَأَنّها دَقرى تَخَيَّلُ نَبتُها أَنُفٌ يَغُمُّ الضالَ نَبتُ بِحارِها

فنلحظ الشاعر يشكو من بعد زوجته عنه وذلك بسبب انشغاله بالحروب التي حالت به دون مزارها ، فهذا الشوق نابع من حميم علاقته بها وصفاء نفسيهما مع بعضهما، وهو يذكر الاماكن التي اصبحت بينهما جبل (اجأ) وجبّة ، فهذا التصوير الجغرافي للمكان الممزوج بشوق الشاعر انما جاء ليعطي المتلقي حجم معاناة الشاعر في الوقت الذي يتيح لنا معرفة حجم صلته بزوجته التي بدا بهجرها على هذه الشاكلة، وهذا يدفعنا نحو فهم كنه رؤية الشاعر للصلة الاسرية كقيمة اجتماعية لها حضورها المجتمعي البارز .

ونجد الشاعر يتمثل بالحكمة الرامية الى ترك الضغائن التي من شأنها هدم اركان القرابة والصلة فيما بينهم، فهو ينطلق من منطلق القيمة الاجتماعية للقرابة ووجوب الحفاظ عليه واستدامهتا، وهذا نابع من حاجة الانسان قديما للآخر في ظل ظروف وحياة الصحراء التي تستدعي حياة الجماعة، وفي هذا نجده قائلا[49]:

ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم إن الضغائن للقرابة تُقذِعُ

والشاعر حريص على عمق العلاقة الاسرية والتواصل الاسري مع اخوته، ويستلذ بزيارتهم له قائلا[50]:

فإذا أتاني إخوتي فدعيهم يتعللوا في العيش أو يلهوا معي

لا تطرديهم عن فراشي إنه لابد يوماً أن سيخلو مضجعي

هلا سألت بعادياء وبيته والخل والخمر التي لم تمنعِ

فهو يميل الى اسلوب الشرط في اثبات صفته تلك (اذا اتاني اخوتي / فدعيهم) فالشرط وجوابه جاءا محققين للمعنى الذي ينشده، لاسيما أن اسلوب الشرط بالاداة (اذا) يفيد دلالة ((المستقبل والزمن الاستمراري المتكرر))[51], فهو يوجه خطابه لزوجته بأن تدع أخوته يتعللون ويستلذون بالعيش عنده وأن يلهو معه لما فيه من حب لهم، وهو ينهج هذا النهج من جانبين هما، اعلاءه لشأن الصلات الاسرية بما يتناسب مع قيمة تلك القيمة الاجتماعية، فضلا عن رؤيته الفلسفية في أن الحياة فانية وزائلة وأن ما يبقى فقط ما كان جميلا بينهم من حسن العشرة ، فحواره تضمن بناءً فكرياً قاد الشاعر إليه شعوره وحالته النفسية فأتاح له هذا الحوار أن يعبر مفتخراً بمناقبه وعاداته التي ألفها، وقد ألحت عليه عاطفته السائدة – لحفظة خلق عمله الفني – أن يعلي شأن تلك السجية – الصلة الاسرية – التي قدسها المجتمع فكان رده المُسكت على زوجته مدعاة للتوسع في فخره الذاتي بأخوته الذي تمحور حول هذه الفضيلة النفسية الكبرى، وفي ظل هذه المحاججة التي ساقها الشاعر على لسان زوجته فإننا نجده قد واصل تأكيده على ما جُبِلَ عليه، فلا مناص إذاً من أن تكفَّ تلك الزوجة عن رد ما يبغيه من كشف أهمية تلك القيمة الاجتماعية.

وتتجلى صور وقيم الصلات الاسرية عند الشاعر في رثاء اخوته الذين فقدهم، ونلحظ من خلال لغته عميق احساسه بفقدهم، لأنه أحسَّ بضياع أهل بيته، قائلا[52]:

بَينَ البَدِيِّ وَبَينَ بُرقَةِ ضاحِكٍ غَوثُ اللَهيفِ وَفارِسٌ مِقدامُ

وَمَقابِرُ بَينَ الرُسيسِ وَعاقِلٍ دَرَست وَفيها مُنجَبونَ كِرامُ

جَزعاً جَزَعتُ عَلَيهِم فَدَعَوتُهم لَو يَسمَعونَ وَكَيفَ تُدعى الهامُ

لا تَبعِدوا وَغَدا السَلامُ عَلَيكُمُ وَسرى فَقد يَتَفَرَّقُ الأَقوامُ

فَأَبيتُ مَسروراً بِرُؤيَةِ مَن أَرى فَإِذا اِنتَبَهتُ إِذا هِيَ الأَحلامُ

فالشاعر عمد الى التحديد الجغرافي للمكان الذي اصبح حاويا لمن فقدهم، بين (البدي، برقة ضاحك) ليعرج بعدها لذكر صفاتهم، التي تمثلت بغوث اللهيف ، والفروسية، فالمكانة الاجتماعية للميت تعد عاملا مهما في ذاكرة الشعراء، ثم يميل لتحديد المكان مرة أخرى (مقابر بين الرسيس وعاقل) ويذكر صفاتهم الاخرى (منجبون، كرام) فهو يجزع لفقدهم، متجها نحو توظيف اسلوب النهي بالأداة (لا) الناهية التي

اخرجها من سياق العقل ليخاطبهم كما لو كاموا احياءً، وهنا نلمس غياب العقل اذا ما نظرنا لخطابه من الجانب النفسي، على الرغم من قناعته بأن الاقوام قد تتفرق وهذا شأن الحياة، فضلا عن ذلك نلمس الجانب النفسي الذي يعيشه الشاعر فهو يبيت مسرور الخاطر برؤيتهم خيالا ولكن الحثيثة هي احلام، فهذا الفقد الذي عاشه الشاعر لم يكن نابعا من فراغ بل كان مشتقا من عمق صلته الاسرية بأخوته، وهذا الذي بدوره يشي بأهمية تلك القيمة الاجتماعية لديه جعله ينحو هذا المنحى التعبيري والشعوري .ومما تقدم نلحظ اهتمام الشاعر بهذه القيمة الاجتماعية المنبني على قدر الصلات الاسرية، ولما تتركه من أثر ايجابي على وحدة الاسرة وتماسكها، والذي ينعكس بدوره على كيان المجتمع وتماسه وتآزره ايضا في ظل بيئة صحراوية قاحلة تستلزم هكذا بناء مجتمعي .

- **الفروسية**

كانت الفروسية هي الوسيلة المثلى التي تمكن الإنسان من التعبير عن ذاته وتمكنه من تسجيل حضوره وسط مجتمع طبقي ، الفروسية التي تعتمد–فيما تعتمد –على شجاعة الفارس الخارقة، وما يكتنفها من خصال حميدة كالأخلاق النبيلة، ونصرة الحق ونبذ الباطل والظلم[53],فعدم الاستقرار المكاني والنفسي وعدم الاطمئنان إلى حقيقة أزلية تهدّيء من روعة وتخفف من أزمته الوجودية ودهشته الدائمة في تعامله مع قوى الطبيعة المنظورة وغير المنظورة، مكنتنا نقرأ من خلال الشعر القديم بعض مناحي ذلك الصراع الوجودي في حياة المجتمع الجاهلي[54]، ومن ثم استحضار تلك القيم على ما في هذا الشعر من تمجيد للقوة والترهيب، وتعظيم لمبدأ الحروب وما تدره على المنتصر من غنائم، وما تتركه في نفس المنهزم من رهبة ومذلة، فإن هناك جوانب أخرى لم يهملها الشعر، والتي تصور الوجه الآخر لتلك القيم من نبل وشهامة وكرم وعفو عند المقدرة والتي تدل جميعها على ذلك التوازن القيمي الذي ساد ذلك المجتمع[55].
ومن خلال استقرائنا لشعر النمر بن تولب فقد لمسنا وجود تلك القيم العُليا في شعره والتي كشفت عن ملامح فروسيته ، ومن ذلك قوله[56]:

أأهلكها وقد لاقيتُ فيها مرارَ الطعنِ والضربَ الشجاجا
وتذهب باطلاً غدوات صُهبى على الأعداء تختلج اختلاجا
جَمومُ الشدّ شائلة الذنابى تخال بياض غرّتها سراجا
وشدّي في الكريهة كلّ يومٍ إذا الأصواتُ خالطت العَجاجا

حيث ظهر الشاعر متحدا لنفسه بصيغة الاستفهام الانكاري (أأُهلِكها) ذاكرا حضورها معه فقد شهدت معه فروسيته ومعاركه على نحو قوله (مرار الطعن ، والضرب الشجاجا) وهو يصف خيله (صهبي / الاصهب) من اسماء الخيل ، وهي تجري على الاعداء بسرعة شديدة مشبها غرتها بالسراج موظفا الفعل

(تخال) لتقريب الصورة ، وهو يستحضر من حركة الخيل تصوير مشهد فروسيته على نحو قوله (في الكريهة) وشدة الحرب التي وصفها بالضجيج المخالط للغبار المرتفع (العجاجا) فالشاعر حين يميل نحو اثراء هذا المشهد بقصد منه للكشف عن مشهد الفروسية عنده واظهار جانب القوة في شخصيته ، فضلا عن تخليد تلك القيمة المجتمعية المهمة .

وهو لا يقف عند حد الحديث عن فروسيته وشواهدها ، بل نجده يوجه خطابه للآخر داعيا إياه للفروسية قائلاً [57]:

خاطِر بِنَفسِكَ كي تُصيبَ غَنيمَة إنَّ الجُلوسَ مَعَ العِيالِ قَبيحُ

فَالمالُ فيهِ تَجِلّةٌ وَمَهابَةٌ وَالفَقر فيهِ مَذَلّةٌ وَقَبوحُ

فهو يدعو للفروسية والمخاطرة بغية الحصول على الغنائم وتحصيل مؤنة العيش ، منكرا على الجلوس مع العيال واصفا إياه (بالقبح) مكثفا دلالته بصيغة المبالغة (قبيح) والتي أفدة دلالة التكثيف المعنوي والدلالي، ولاسيما أن صيغة المابالغة ((للدلالة على الكثرة))[58] وهو يعمد من ذلك الى ان يكون الانسان مكتفيا بالمال لنفسه لما به من حفظ هيبة الانسان ، وهو ينظر بهذا الاتجاه لما يعرفه عن طبيعة حياتهم البدوية التي تتطلب البحث عن مصادر العيش دون اللجوء الى أساليب أخرى لاتنسجم مع شخصية الرجل الفارس.

ومن صور الفروسية التي اكثر منها الشاعر ميله لذكر فرسه (صهبي) واصفا مشهد طرادها وحركتها التي تشي ببطولته ، قائلا[59]:

لَقَد غَدَوتُ بِصُهبى وَهيَ مُلهِبَة إلهابُها كَضِرامِ النارِ في الشيحِ

جاءَت لِتَسنَحُني يَسراً فَقُلتُ لَها عَلى يَمينِكِ إنّي غَيرُ مَسنوحِ

ثُمَّ اِستَمَرَّت تُريدُ الريح مُصعِدَةً نَحوَ الجَنوبِ فَعَزَّها عَلى الريحِ

يا وَيلَ صُهبى قَبيلَ الريحِ مُهذِبَةً بَينَ النِجادِ وَبَينَ الجَزعِ ذي الصوحِ

فنلحظ أن الشاعر يميل نحو ذكر (غدوت) دالاّ من ذلك على خروجه وقت الفجر وفي هذا المشهد استحضار شخصية الفارس الذي ينتخب وقت الفجر للخروج ،واصفا خيله بأنها (ملهبة / إلهابا) مشبها إياها بضرام النار في نبات الشيح (النبات البري المعروف بهشاشته) ولشدة جريه يصف محاورته للفريسة التي ارادت اخذ جهة اليسار (جاءت لتسنحني/ فقلت لها) فالحوار يفتح له افاق الحديث عن

فروسيته ،لاسيما أن الحوار (نص للحوار) وهو يصف حركتها بين الاماكن المرتفعة والاودية والفيافي، فالشاعر حين يتجه نحو هذا الوصف الدقيق انما يميل نحو رسم حدود فروسيته وشخصيته كفارس .

وهو يصور مشهد الحرب المتضمن لفروسيته وبطولاته ، فهو يتحدث بلغة التأكيد (ولقد) مُشهدا خيله على معاركه وبطولاته ، نحو قوله [60]:

وَلَقَد شَهِدَت الخَيلَ وَهيَ مُغيرَةٌ وَشَهِدَتها تَعدو عَلى آثارِها
وَحَوَيتُ مَغنمها أَمامَ جِيادِها وَكَرَرتُ إِذ طردَت عَلى أَدبارِها
وَلَقَد شَفَيتُ مِنَ الرِكابِ وَمَشيِها وَزَفيفها نَفسي وَمِن أَكوارِها
وَكَأَنّما اِنطَمَرَت جَنادِبُ حَرَّةٍ في سَردِها فَرمتك عَن أَبصارِها

فهو يتحدث بلغة (الأنا) وهي (أنا) الفارس بما يتناسب مع حديث الفرسان الذي يسود بيئهم عصرذاك، حيث كانوا يتفاخرون بالمعارك والخيل المغيرة لأن خلق الشجاعة أملى عليه ذلك، حيث يقول العرب ((ان الشجاعة وقاية، والجبن مقتلةٌ))[61], ونلحظ الشاعر يكرر لفظ (لقد) دالاّ من ذلك التكرار على بوز شخصيته عبر قيمة التكرار ، لاسيما أن التكرار يفيد الوظيفة التأكيدية ((ويراد بها اثارة التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في ذهنه.))[62]

ومن مشاهد الفروسية التي تحدث عنه الشاعر واحتفى بها كقيمة مجتمعية عليا هو مشهد معركة يوم الكلاب، متحدثا عن ترأسه للجموع ، قائلا [63]:

وَيَومَ الكُلابِ رَأَسنا الجُموعَ ضراراً وَجَمعَ بَني منـقرِ
أَجَزتُ إِلَيكَ سُهوبَ الفَـلاةِ وَرَحلى عَلى جَمَلٍ مِسـفَرِ
طَويلِ الذِراع قَصيرِ الكَراع يُواشِكُ بِالسَبَبِ الأَغبَـرِ

فالشاعر يتحدث عن بلغة ضمير (نا) الدال على السمو بالنفس واشاعة روح الفروسية ، ونجده يقرن هذا الضمير بحركية الفعل (رَأَسَ) ليكون المعنى العام أننا قادة الجمع في المعركة ، وهذا من باب الاهتمام بهذه القيمة الاجتماعية ومالها من حضور في المجتمع العربي القديم ، ذلك المجتمع القائم على مفاهيم وقيم تحترم القوة ،لذلك فالشجاعة والفروسية لديهم هي ((عماد الفضائل ومن فقدها لم تكتمل فيه فضيلة يعبر عنها بالصبر وقوة النفس))[64]

ومما جاء به قوله[65]:

سَمَونا لِيَشكُر يَومَ النِهابِ نَهُـزَّ قَنَاً سَمهَرِيّاً طِـوالا
فَلَمّا التَقَينا وَكانَ الجَـلادُ أَحَبّـوا الحَياةَ فَوَلّوا شَلالا

ينهض هذا النص على منطلقات الفروسية (سمونا) اي رفعنا رماحنا، مبينا أنها طويلة لإرفاد المشهد بروح الفروسية ،وحين اللقاء بقي الشاعر الفارس وقومه في محل النزال وهرب الخصم لأنهم أحبوا الحياة ، فهذه المعادلة التي تركها الشاعر هي معادلة الحياة والموت التي آمن بها الشاعر الفارس كونها من القيم التي اعتنى بها العرب وتفاخروا بها ، ومن هنا نلحظ كيف تمكن الشاعر من تخليد تلك القيمة المجتمعية ، وكيف عبّر عنها شعرا ، ليعكس من خلالها القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره وبيئته على حدٍّ سواء .

- **الخاتمة**

1- مَثَّل الشعر العربي رمزًا للحياة العربية وتعبيرًا عن مآثرها ومستوعبًا لشتى جوانب حياته الروحية والوجدانية والفكرية وسجلًّا لروح عصر بكامله<

2- إنّ القيم التي أنضجتها بيئة صحراء العرب لجديرة بالدراسة والتأمل والتمعن، وقد زودنا أداء الشاعر بفيض حيوي ومهم من هذه القيم باعتبار أن الشاعر جزء من واقعه الذي يتفاعل معه، فهو المعبر بطريقته الشعرية عن هذا الواقع وما يدور فيه من حركة وتفاعل إنساني .

3- تمكن الشاعر من تسجيل القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، والتي عكست مثل وقيم المجتمع .

4- ظهرت قيم الفروسية في شعره وأخذت جانبا لا بأس به، كون الفروسية حاجة تفرضها البيئة الصحراوية ، والنظام الحياتي .

5- كشف البحث عن قيم الكرم والسخاء عند الشاعر والتي أخذت الجانب الاكبر في شعره ، وهذا ما اشتهر به الشاعر في وسطه الاجتماعي ، مؤكدا على تلك قيم الكرم والسخاء لدورها في اشاعة التكافل والايثار، وتقوية الاواصر، ورفعة النفس الانسانية.

6- بيّن البحث نهج الشاعر الاجتماعي واهتمامه بالصلات الاسرية ودورها في تماسك الاسرة الذي ينجم عنه تماسك المجتمع، وكان هذا جليا في صلته بزوجته وأخوته.

7- أعلى الشاعر من قيمتي حسن الجوار، والخُلُق كقيمتين اجتماعيتين من شأنهما الحفاظ على بنية المجتمع، وديمومة تماسكه وتواصله .

اوضح البحث عن عمق صلة

الشاعر بمجتمعه الذي حظي بكل هذا الاهتمام الشعري، والذي بين عمق تداخل الشاعر مع بيئته

الهوامش

([1]) الاغاني : 22: 237

([2]) ينظر : ديوانه :10

([3]) طبقات فحول الشعراء : 160

([4]) طبقات فحول الشعراء 160 ، الاغاني :22:373

([5]) طبقات فحول الشعراء :159

([6]) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد المرسلين ،السمرقندي : 1: 143- 144

([7]) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، احمد الحوفي : 56

([8]) ينظر : تفسير المنار، محمد رشيد رضا : 1: 195

([9]) ينظر : بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ،محمود شكري الالوسي، 2:266

([10]) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي :4:576

([11]) ينظر : العقد الفريد ، لإبن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق ، مفيد قميحة : 28:1

([12]) المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيهي ، تحقيق ،عبدالله أنيس الطباع : 310:1

([13]) ينظر : الفتوة عند العرب واحاديث الفروسية والمثل العليا ،عمر الدسوقي : 60

([14]) القيم الاخلاقية في الشعر الجاهلي ،انتصار مهدي عبدالله:101

([15]) العرب قبل الاسلام احوالهم السياسية والدينية واهم مظاهر حضارتهم،محمود عرفه محمود: 285

([16]) موجز تاريخ العرب ، فيليب حتي : 313

([17]) الحياة الاجتماعية عند العرب، ظافر القاسمي: 138-139

([18]) ديوانه: 48

([19]) المصدر نفسه : 51

([20]) المرأة في الشعر الجاهلي ، علي الهاشمي،مطبعة دار المعارف ، بغداد ، 1960:ص 161

([21]) ديوانه : 69-70

([22]) التحليل النقدي والجمالي للأدب – د .عناد غزوان، دار آفاق، بغداد، ١٩٨٥: 56

([23]) ديوانه: 82-84

([24]) ديوانه: 88

([25]) المصدر نفسه : 122

([26]) موجز تاريخ العرب .فيليب , ط 9 دار الغندور للطباعة , بيروت 1883 , م :188

([27]) ديوانه : 133 – 134

([28]) ينظر : ,الحياة العربية من الشعر الجاهلي، احمد الحوفي :313

([29]) ينظر : القيم الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي انتصار عبدالله مهدي: 131.

([30]) ديوانه : 135

([31]) البناء الفكري والفني لشعر الحرب عند العرب قبل الإسلام ، سعد عبد الحمزه غزيوي : 258-259

([32]) ينظر: القيم الخلقية في الخطابة العربية ، سعيد منصور، منشورات جامعة بنغازي : 33

([33]) نزرة الأغريض في نصرة القريض : المظفر بن الفضل بن يحيى أبوعلي العلوي الحسيني (ت 656 هـ) تحقيق الدكتورة نهى عارف الحسن الطبعة الأولى.1976 : 358

([34]) ديوانه: 35

([35]) موجز تاريخ العرب .فيليب , ط 9 دار الغندور للطباعة , بيروت، 1983م:188

([36]) ديوانه: 74

([37]) ينظر : تعددية النمط في الشعر الجاهلي وظلاله الطويلة، د .محيي الدين البرادعي، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية،2005 : 12

([38]) ديوانه : 110

([39]) ينظر : تعددية النمط في الشعر الجاهلي وظلاله الطويلة: 40-41

([40]) ينظر :القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي :193-198

([41]) مشاهد الصيد في الشعر الجاهلي،سوسن يموت ،دائرة اللغة العربية في الجامعة الامريكية بيروت،1985م : 171

([42]) ديوانه : 116 - 117

([43]) سورة النساء : الاية : 1

([44]) ينظر : المجتمع الانساني ، محمد منعم ، 67 .

([45]) ديوانه :

([46]) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ط2 ، دار الحقائق الجزائر،1980م:150

([47]) ديوانه : 60- 61

([48]) ديوانه : 68، وينظر : 113- 123- 125

([49]) المصدر نفسه : 81

([50]) م . ن : 84 – 76

([51]) جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني: 60

([52]) ديوانه : 111- 112

([53]) ينظر الفروسية في الشعر الجاهلي ، نوري حمودي القيسي: 73

([54]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري ، 82 .

([55]) شعر الحرب في العصر الجاهلي ، علي الجندي :36

([56]) ديوانه : 51-52

([57]) ديوانه : 53

([58]) الصاحبي في فقه اللغة لإبن فارس :224 .

([59]) ديوانه : 54-55

([60]) ديوانه : 72- 73

([61]) مجمع الحكم والامثال في الشعر العربي، احمد قبش : 54

([62]) التكرار في الشعر الجاهلي، موسى ربايعة : 77.

([63]) ديوانه : 75

([64]) جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة، د .بوجمعة بوبعيو، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م: 27

([65]) ديوانه : 108

List of sources and references

1. Equestrianism in Pre-Islamic Poetry, Nouri Hammoudi Al-Qaisi, Dar Al-Kutub, Al-Nahda Library, Egypt, 2nd edition, 1984.
2. Pre-Islamic Poetry, Its Characteristics and Art, Yahya Al-Juburi, Publications of the University of Qar Younis, 6th edition, Dr.
3. Poetry of War in the Pre-Islamic Era, Ali al-Jundi, The Anglo-Egyptian Library, Al-Risala Press, 2nd Edition, Dr.
4. The Council of Proverbs and Proverbs in Arabic Poetry, Ahmad Kabbash, The Egyptian Anglo Rank, i 1, 1985.
5. The dialectic of values in pre-Islamic poetry, a contemporary critical view. Boujemaa Boubaoui, Union of Arab Writers Publications, Damascus, D. i, 2002.
6. Ethical values in Arabic rhetoric, Saeed Mansour, University of Benghazi Publications, 1st edition, 1991.
7. Hunting scenes in pre-Islamic poetry, Sawsan Yamout, Department of Arabic Language at the American University of Beirut, 1985.
8. Pluralism in pre-Islamic poetry and its long shadows, d. Mohieldin El-Baradei, Publications of the Ministry of Culture, Syrian Arab Republic, Dr. I, 2005
9. A brief history of the Arabs. Philip, Dar Al-Ghandour Printing House, Beirut, 9th floor, Dr.
10. Nazrat Al-Aghraideh in Nusrat Al-Qrayed: Al-Muzaffar bin Al-Fadl Ibn Yahya Abu Ali Al-Alawi Al-Husseini (Tel. 656 H), investigation by Dr. Noha Aref Al-Hassan, 1st edition, 1976.
11. The Human Society, Luster of Muhammad Abdel-Moneim, Cairo Press, 1st edition, 1970.
12. Essays in Pre-Islamic Poetry, Youssef Al-Youssef, Dar Al-Haqaqaq, Algeria, 2nd Edition, 1980.
13. Moral Values in Pre-Islamic Poetry, Intisar Mahdi Abdullah, University of Khartoum, D.D., 2008.
14. Arabs before Islam, their political and religious conditions and the most important manifestations of their civilization, Mahmoud Arafa Mahmoud, Cairo University, Dr. I, 1991.
15. Social Life for Arabs, Dhafer Al Qasimi, Catholic Press, Beirut, Dr., 1983.
16. Women in Pre-Islamic Poetry, Ali Al-Hashimi, Dar Al-Maarif Press, Baghdad, Dr., 1960
17. Arab Life from Pre-Islamic Poetry, Ahmed Al-Hofy, Nahdet Misr Library, Dr.T, D.T.
18. The intellectual and artistic structure of the poetry of war among Arabs before Islam, Saad Abd al-Hamza Ghaziwi
19. Songs, by Abu Al-Faraj Al-Isfahani (d. 356 e). Publications of the Egyptian Foundation for Authorship and Translation, Dr.T, D.T.

20. Diwan Al-Nimr bin Tulip Al-Aakli, Collection, Explanation, and Investigation, Muhammad Nabil Tarifi, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 2000.
21. Layers of stallions of poets, Muhammad bin Salam Al-Jamhi (d. 231 AH), investigation, Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani in Jeddah, d. I, d.
22. Cautioning the coverers with the hadiths of the master of the messengers, Samarqandi (d. 373 AH), investigation, Yusef Ali Bedaiwi, Dar Ibn Katheer, Damascus, 3rd floor, 2003.
23. Tafsir Al-Manar, Muhammad Rashid Reda, Mutiaa Al-Manar, Egypt, Ed. 1, Dr.
24. Reaching the Arabs to know the conditions of the Arabs, Mahmoud Shukry Al-Alousi, Dar Al-Kitab Al-Masry, Dr., Dr.
25. The Unique Contract, by Ibn Abd Rabbuh Al-Andalusi (d. 328 AH), investigation, Moufid Moufid Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, I 1, 1983.
26. Al-Mustafrif in all the outlook art, Al-Ibshahi (d. 850 AH), investigation, Abdullah Anis Al-Tabbaa, Dar Al-Arqam Company, Dr. I, D.
27. The Fatwa among the Arabs, Equestrian Hadiths, and Ideals, Omar El-Desouky, Al-Nahda Library, Egypt, Dr., 1993.